بالمطالب الوجدانية لهذه الجماهير . بهذه الطريقة تمكنت الانظمة العربية من كسب الوقت ومن ارضاء العفوية الوجدانية عند الجماهير ما دامت هذه العفوية تفرغ الجماهير من قدراتها الصدامية مع الانظمة ، او على الاقل من قدراتها على الادانة العلنية المتواصلة لها وانزال العقوبات السياسية بها . واذا كانت الجماهير قد سارت في هذا الاتجاه الخاطىء من جراء فقدانها الوضوح النظري والتنظيم الثوري السليم ، ومن جراء ما عانته من اقصاء فعلي لها عن المشاركة الديمقراطية في مهمات العمل الوطني ، فان المقاومة الفلسطينية ، وفي تلك المرحلة بالذات التي اكسبتها تعاطف الجماهير معها ، ارتضت بهذا التعاطف الفوري في الوقت الذي جاءت فيه معركة الكرامة لتؤكد صحة نظرية الابتعاد الاقليمي الفلسطيني عما سمي بالوصاية العربية .

كان هذا التعاطف الجماهيري مع المقاومة وهي تتبرعم ، مدخلا لان تتصور المقاومة الفلسطينية من حيث هي تمرد قتالي على الهزيمة ، انها قيادة ثورية بديلة للجماهير العربية . لقد ادت ظاهرة المقاومة الفلسطينية ونمو هذه الظاهرة على الساحة العربية والعالمية التقدمية وما اوجدته من امواج التعاطف المتزايد والمتعاظم معها ، وما استقطبته من اهتمامات اساسية من قبل القوى التقدمية في العالم ، وما مثلته من تماثلها مع ثورة الاجيال الصاعدة في كل مكان في سبيل تاكيد الذات والمشاركة ، ادت كل هذه الظواهر والنتائج الى افقاد الجماهير ادراكها لضرورة توجهها نحو تعويز قدراتها الذاتية ، والى افقاد المقاومة الفلسطينية قدرتها على تجاوز هذا الوهج الذي اوجدته لها الجماهير ولتتمكن من التخطيط لمواجهة المراحل الصعبة المقبلة . كان هذا الوضع منسجما مع طبيعة تكوين المقاومة الفلسطينية في تلك المرحلة ، هذا التكوين الذي ، وان استتبعه فيما بعد انفتاح على البعد القومي ، فهم التعاطف الجماهيري مع المقاومة في الساحة العربية على انه يعني بان المقاومة اصبحت قيادة للتحرك الجماهيري وليست طليعة من طلائعه . بالطبع ، لم تكن المقاومة مسؤولة وحدها عن هذا الفهم الخاطىء اذ ان الاعتداد بالنفس يلازم كل انتفاضة تمردية تعقب هزيمة او صدمة عنيفة . وبنتيجة هذا الاعتداد ، ظهرت المقاومة وكانها خلقت من عدم وهي ليست كذلك رغم ان حركة التحرير الوطني الفلسطيني — فتح — نفسها تعتبر انها انشئت عام ١٩٦٥ وانها كانت نقطة انطلاق الثورة الفلسطينية . ان الثورة الفلسطينية حالة ثورية متواصلة وان تنوع اشكالها او اشكال التعبير عنها يعكس تقلبات موازين القوى في الواقع العربي القومي . فاذا تلاشت العلاقات العربية الوحدوية او بهتت ، تاكدت فلسطينية الثورة ، واذا نضجت خطوات عربية وحدوية او اخذت طريقها للتنفيذ ، تاكد الارتباط القومي للثورة العربية في فلسطين فلا تعود الثورة ثورة فلسطينية في فلسطين .

تجربة السنوات الخمس الماضية

والان ، كيف تستعيد الثورة الفلسطينية كونها ثورة عربية في فلسطين او قطاع الثورة العربية في فلسطين ، وكيف يسترجع الفلسطينيون استعدادهم للذوبان المقبل في الحركة العربية الثورية الموحدة لا بشكل قفزي بل بصورة تدريجية واعية لكل مرحلة ولكل خطوة ؟ لقد عالجت كل منظمات المقاومة وكل الملتزمين والمتعاطفين معها هذه القضية المركزية لكن بشكل متقطع فاقد للمنهجية الصحيحة في السنوات الخمس الماضية . كانت العلاقات بين المقاومة الفلسطينية والجماهير والاحزاب العربية علاقات متقطعة غير مرتكزة على مؤسسات فكثر فيها الاستنساب الظرفي ، فانهمكت المقاومة الفلسطينية ، بعد معركة الكرامة ، في اقامة علاقات مع الاقطار العربية تتميز بتعامل محتوم بينها وبين الانظمة العربية ، ووأصلت اتصالها بالجماهير دون ان تصل الى مستوى التداخل المبرمج معها . وهكذا فان المقاومة — باستثناءات محددة — لم تتمكن ان تربط نظريا وعمليا ما بين سلطتها المعنوية على الجماهير وبين قدرة هذه الجماهير على الضغط على